# مقرر قضايا ثقافية معاصرة

د. محمود أحمد صالح

**المُحاضَرَةُ الثَّانِيَةَ عَشرَةَ**

## اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ
## وِعاءُ التَّعلِيمِ وَالثَّقافَةِ

**عَناصِرُ المُحاضَرَةِ:**

**((١)) تمهيد. ((٢)) بداية دراسة اللغة العربية.**

**((٣)) أهمية اللغة العربية. ((٤)) خصائص اللغة العربية.**

**((٥)) تميز العربية عن بقية اللغات. ((٦)) وظائف اللغة العربية.**

**((٧)) اللغة العربية ..الموقع الاستراتيجي في التدافع الحضاري. ((٨)) اختراق الهوية ...وصدمة العولمة.**

**((٩)) نحو أداء أفضل للغة العربية. ((١٠)) الأسس العلمية لبناء منهج تعلم اللغة العربية.**

**((١١)) كيف نحافظ على اللغة العربية بين الطلاب. ((١٢)) الطلبة العرب ودورهم في الحفاظ على الثقافة العربية.**

تَمهِيد:

**حَبَا المولى اللغة العربية بوضعية قلَّما نجدها في اللغات الأخرى؛ فإلى جانب أنها لغة فطرية يتواصل أصحابها بالاكتساب والتعلم فهي لغة كتابه الذي حفظه في اللوح المحفوظ إلى يوم الدين.**

**ويتضح ذلك في اختلافها عن تلك اللغات المنتشرة المشهورة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية.**

**وهذا الاختلاف يتجسد في ثلاثة جوانب:**

**أوَّلها: أن العربية لها امتداد تاريخي ليس لهذه اللغات؛ بمعنى أنها استمرت منذ الأدب الجاهلي حتى الآن دون أن تتعرض لتغير ((نوعي)) كاللغات الأخرى، ولا يجد العربي المعاصر عناءً في الاستجابة لأدب العرب القدماء.**

**ثانياً: أن هذه اللغة ترتبط ارتباطاً عضوياً بالإسلام، يبدأ هذا الارتباط بالقرآن الكريم ثم يمتد في الحديث الشريف، والتفسير، والفقه والتاريخ وغير ذلك من جوانب الحياة الإسلامية، فالإسلام يكون النواة الثقافية للعربية الفصيحة، ونحن حين نطلق مصطلح ((العربية الفصيحة)) إنما نطلقها بهذا المعنى، وهذا من أهم الجوانب التي لابد من حسابها عند النظر في تعليمها.**

**ثالثها: أن هذه العربية الفصيحة لها تراث هائل في الدرس اللغوي لا نعرف له مثيلاً أيضاً في اللغات الأخرى؛ فمنذ القرن الثاني الهجري والعلماء يتلاحقون واحداً في إثر واحد يدرسون جانباً من العربية، في الأصوات، وفي الصرف، وفي النحو، وفي المعجم ، فتكوَّنَ لدينا هذا التراث الضخم في وصف العربية.**

**بِدايَةُ دِراسَةِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ:**

**وعلى الرغم من الامتداد التاريخي للعربية منذ العصر الجاهلي فإنه لم يتفق حتى الآن بين علماء اللغة حول البداية الفعلية لدراستها والاهتمام بها في النواحي البحثية والعلمية.**

**ويرى البعض أن الاهتمام بدراسة العربية بدأ مبكراً، ربما في عصر الصحابة والتابعين.**

**وتؤرخ كثير من الروايات ذلك الاهتمام بالتابعي أبي الأسود الدؤلي تلميذ الإمام علي ؛ حيث تشير كثير من الروايات إلى أن الإمام وَجَّهَ نَظَرَ أبي الأسود إلى الاهتمام ببعض مسائل العربية.**

**وأياً ما كان الأمر فإن أبا الأسود يُعَدُّ بحقٍّ مؤسس الدراسة اللغوية عند العرب.**

**أَهَمِّيَّةُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ:**

**وقد اعتبر كثير من العلماء أن العروبة هي اللسان وأن الكلام بغيرها لغير حاجة يخشى أن يورث النفاق وأبرز هؤلاء:**

**((١)) ابن تيمية الذي يقول: إن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون.**

**((٢)) كره الشافعي لمن يعرف العربية أن يتكلم بغيرها، أو يتكلم بها خالطاً لها بالعجمية، وكان يؤكد على أن كل من يقدر على تعلم العربية فإنه ينبغي عليه أن يتعلمها لأنها اللسان الأَوْلَى بأن يكون مرغوباً فيه.**

**كما اعترف كثير من المستشرقين بأهمية اللغة العربية وتميزها ومن أبرز هؤلاء:**

**((١)) يقول العلامة كارل بروكلمان: بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأن العربية وحدها هي اللسان الذي أحل لهم أن يتعلموه في صلواتهم.**

**وبهذا اكتسبت العربية من زمن طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى التي تنطق بها شعوب إسلامية.**

**((٢)) يقول المستشرق الفرنسي لوي ماسينيون المعروف بكتاباته المغرضة غير المنصفة عن الإسلام والمسلمين: ((اللغة العربية لغة وعي، ولغة شهادة، وينبغي إنقاذها سليمة بأي ثمن للتأثير في اللغة الدولية المستقبلية، واللغة العربية بوجه خاص هي شهادة دولية يرجع تاريخها إلى ثلاثة عشر قرناً)).**

**كما أن أهميتها تنبع من كونها ذات قدرة كبيرة على تذليل الصعاب وقوة واضحة في مجابهة الحياة وأنها تتمتع بقدرة فائقة على استيعاب كل جديد من العلم والحكمة والفلسفة وأنواع المعرفة الأخرى، وهي تتمتع كذلك برسوخ في الأصول وحيوية في الفروع.**

## خَصائِصُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ:

**إن اللغة العربية لغة غنية ودقيقة تمتاز بوفرة هائلة في الصيغ وهذا ناتج عن طبيعتها التي تختلف عن أية لغة أخرى وخصوصاً وأنها من أقوى اللغات السامية الأخرى من حيث التطورُ شكلاً ومضموناً صوتاً وكتابة وملائمة لتطورات الواقع ويتضح ذلك من خلال الخصائص الآتية:**

**((١)) أصوات اللغة العربية تستغرق كل جهاز النطق عند الإنسان وتخرج من مخارج مختلفة تبدأ بما بين الشفتين في نطق حروف كالباء والميم والفاء، وتنتهي بجوف الناطق في نطق حروف المد: الألف والواو والياء التي تخرج من الصدر والحلق إلى خارج الفم.**

**((٢)) اللغة العربية صنعت قانونها بنفسها: فإذا تكلم ذو بيان فإنك تطرب لسماعها، وتفهم بيانها، وترتاح لتبيانها.**

**((٣)) اللغة العربية لغة مرنة: ويظهر ذلك من طواعية الألفاظ للدلالة على المعاني وطواعية العربية تتمثل أكثر ما تتمثل في ظاهرتي الترادف والاشتقاق بصفة خاصة، وفي قدرتها على استيعاب المُوَلَّد والمُعَرَّب والدخيل بصفة عامة.**

**((٤)) قدرة العربية على الوفاء بمتطلبات العصر: ينبغي أن ننظر إلى اللغة العربية على أنها إحدى اللغات العظمى في العالم اليوم فقد استوعبت التراث العربي والإسلامي، كما استوعبت ما نقل إليها من تراث الأمم والشعوب ذات الحضارات الضاربة في القدم كالفارسية، واليونانية، والرومانية، والمصرية وغيرها.**

**((٥)) اللغة العربية بين التعبير الأدبي والتعبير العلمي: اللغة العربية لغة مرنة طيعة. فيها الأسلوب الأدبي الإنساني ذو الدلالة الواسعة، وفيها الأسلوب العلمي ذو الدلالة المحدودة الصارمة.**

**((٦)) اللغة العربية لغة كاملة: إن الكثير من الباحثين اللغويين يرى أنه لا توجد لغة جامدة أو قاصرة أو ((بدائية))؛ وإنما يوجد قوم ((بدائيون)) أو جامدون، فاللغة أية لغة – فضلاً عن أن تكون العربية – قادرة دائماً على التطور والنمو واستنباط المفردات والتراكيب التي تلاءم الحاجات الجديدة والمخترعات الجديدة لدى أهلها. فإذا لم يكن لدى أهلها حاجة إلى اختراعات جديدة أو استعمالات جديدة فان اللغة تبقى كما هي، وعلى هذا فعدم نمو اللغة – أية لغة – ليس لقصورٍ في طبيعتها أو ذاتها، وإنما لقصورِ وجمودِ أهلها.**

## تَمَيُّزُها عن بَقِيَّةِ اللُّغاتِ:

**تميزت العربية عن بقية اللغات بميزات في ألفاظها وقواعدها وتراكيبها في الآتي:**

**((١)) أشار الباحثون إلى أنها أكثر اللغات اختصاصاً بالأصوات السامية؛ فقد اشتملت على الأصوات جميعها وزادت عليها اصواتاً كثيرة لا وجود لها في اللغات الأخرى، مثل أصوات (التاء والذال والظاء والغين والضاد).**

((٢)) تميزت بأنها أوسع اللغات وأدقها في قواعد النحو والصرف، وأنها تمتلك ثروة هائلة في أصول الكلمات والمفردات.

((٣)) تتميز بخصائص ربما تنفرد بها ومنها (الإعراب والغنى بالمفردات والتراكيب والمفاهيم والإيجاز والشمول والدقة والموسيقية).

ومن الملاحظ أن ذلك يدل على احتفاظ اللغة العربية بمقومات اللسان السامي الأول دون منازع فضلاً عن النواحي الإعرابية والسمات الأسلوبية، بالإضافة إلى تفوقها في أصول المفردات والكلمات من حيث الوفرة.

## وَظائِفُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ:

إن اللغة العربية بهذا التميز وبهذا الرصيد التاريخي والواقعي لم يكتب لها النجاح لولا الوظائف المتعددة التي تقوم بها هذه اللغة وأهمها:

((١)) أنها وسيلة الإنسان العربي في التفكير فنحن عندما نفكر نستخدم الألفاظ والجمل والتراكيب العربية في كلامنا وكتابتنا، وبمعنى آخر إن تفكيرنا حديث عربي صامت وحديثنا تفكير عربي صائب.

((٢)) أنها تحمل مبادئ الإسلام السليمة بحكم أنها لغة القرآن الكريم.

((٣)) أنها تعمل على تأصيل العقيدة الإسلامية؛ فهي تحمل إلى المتكلمين بها هدى القرآن وهدى رسول الله في قوالب رصينة محكمة؛ فالعلاقة وثيقة جداً بين العربية والعقيدة الإسلامية.

((٤)) أنها مُقَوِّمٌ من مقومات الأمة العربية الواحدة؛ فهي توثِّقُ شخصية الأمة، وتؤكِّدُ هويَّتها وتشكل أداة للاتصال بين أبناء هذه الأمة.

((٥)) أن العربية لا تدرس ولا تعلم لذاتها بل هي وسيلة المتعلمين جميعهم لتعلم سائر المواد الأخرى.

((٦)) أنها الوسيلة المثلى لحفظ التراث الثقافي العربي.

((٧)) وأهم وظيفة يمكن أن تقوم به العربية وتؤديها خير تأدية هي الوظيفة الحضارية الإنسانية تلك الوظيفة التي مهدت لحضارة الإسلام أن تعم آفاق الدنيا؛ حيث جمعت الحضارة كل الأعراق والأجناس وبالتالي صارت مقوماً من مقومات الأمة الإسلامية التي هي أكثر شمولاً من الأمة العربية فضلاً عن كونها إنسانية لأنها تخاطب الإنسان في فكره ووجدانه وبالتالي فهي متصالحة مع هذا الإنسان مادام الإنسان يتقوى بها لغة وثقافة وسلوكاً وأدباً.

## اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ: المَوقِعُ الإستراتِيجِيُّ فِي التَّدافُعِ الحَضارِيِّ:

**إن اللغة العربية باعتبارها وعاءً للثقافة العربية وللحضارة الإسلامية فإنها تواجه أخطاراً تتفاقم باطراد تأتي من هيمنة النظام العالمي الذي يرفض صياغة العالم الجديد وفق خصوصيات الشعوب وثقافاتها وأعرافها وتقاليدها.**

**وإن موقع اللغة العربية في الصدارة من الهوية للدفاع عن الأمة، فما اللغة إلا وعاء الفكر الذي يصنع طرائق المواجهة، بالتكيف حيناً، وبالتصلب حيناً.**

**وبالرغم من وسائل التهجين والتدجين لهذه اللغة فإنها استعصت على التدجين والموت لأنها اللغة الوحيدة للوحي الإلهي الباقي على ظهر الأرض، وبقاؤها هو إكسير الحياة للأمة، والمجدد الدائب لطاقاتها الأدبية والمادية.**

**يقول العلامة الجزائري الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مخاطباً الجزائريين الذين عمل الاستعمار الفرنسي بكل الوسائل على جعل اللغة غريبة في أفواههم سمجة على ألسنتهم منكورة في قلوبهم وأفئدتهم:**

**((لولم تكن اللغة العربية لغة مدنية وعمران، ولو لم تكن لغة متسعة الآفاق غنية بالمفردات والتراكيب لما استطاع أسلافكم أن ينقلوا إليها علوم اليونان وآداب فارس والهند، ولألزمتهم الحاجة إلى تلك العلوم تعليم تلك اللغات، ولو فعلوا لأصبحوا عرباً بعقول فارسية وأدمغة يونانية، ولو وقع ذلك لتغيَّر مجرى التاريخ الإسلامي برُمته)).**

**لو لم تكن اللغة العربية لغة عالمية لما وسعت علوم العالم، وما العالم إذ ذاك إلا هذه الأمم التي نقل عنها المسلمون.**

**قامت اللغة العربية في أقل من نصف قرن بترجمة علوم هذه الأمم ونظمها الاجتماعية وآدابها فوعت الفلسفة بجميع فروعها، والرياضيات بجميع أصنافها، والطب والهندسة والآداب والاجتماع، وهذه هي العلوم التي تقوم عليها الحضارة العقلية في الأمم الغابرة و الحاضرة .**

**واللغة العربية هي التي أفاضت على علماء الإسلام بكنوزها ودقائقها وأسرارها، وأمدَّتهم بتلك الثروة الهائلة من المصطلحات العلمية والفنية التي تعجز أية لغة من لغات العالم عن إحضارها بدون استعانة واستعارة، فبحثوا في كل علم وبحثوا في كل فن وملؤوا الدنيا مؤلفات ودواوين.**

**ومن هنا ندرك أن الحديث لإصلاح وضع اللغة في المنظومة المعرفية للأمة ليس ترفاً فكرياً بقدر ما هو حديث عن بناء حضاري متكامل باعتبارها جزءاً جوهرياً في مشروع التجديد والإصلاح والتمهيد للنهضة المرجوة، ولا يمكن أن تحصل نهضة حقيقية بغير نهضة لغوية متزامنة مع المشروع كله، وخادمة له سواء من ذلك ما يتعلق بتأصيل الفهم والتلقي للخطاب اللغوي من الوحي خصوصاً، ومن التراث العلمي الإسلامي عموماً، أو ما تعلق بالبلاغ والتواصل التعبيري المرتبط بالمفاهيم المكونة لهوية الأمة على الإجمال.**

**واللغة العربية لم تكن يوماً نافلة في مجال التدافع الحضاري، وساحة الصراع الإيديولوجي إلا عند من لا يفقه سنن المغالبة بين الأمم والشعوب، بل كانت ولا تزال من أهم مواقع الصراع الفكري، ومن أخطر أسلحة الاحتواء الإستراتيجي لثقافات الشعوب وتمييعها لإخراجها عن طبيعتها وصبغتها.**

**ولا بد من أن ندرك أن تفعيل الثقافة رهن بتطور اللغة، ونمو اللغة يعكس القيم الثقافية للمجتمع الذي يتكلم بها، وهما مقياس لإمكانته وقدراته، وكيف نعرف هذه القيم عندما تختفي دلالات اللغة، وتغيض معانيها ومراميها وإشاراتها في حديث الناس وبرامج الإعلام وإعلانات الشركة وأسماء المحال ويافطات الإشهار.**

**اختِراقُ الهُوِيَّةِ وَصَدمَةُ العَوْلَمَةِ:**

**التحدي الذي يواجه الهوية اللغوية في عصر الصدمة العولمية مَرَدُّهُ إلى الشعور المبالغ فيه بأهمية اللغة الأجنبية، الناتج غالباً عن الانبهار بكل ما هو أجنبي، والظن الزائف بأن التقدم لا يأتي إلا عن طريق إتقان اللغة الأجنبية للجميع، بل والتحدث بها بين العرب أنفسهم.**

**ويمكن أن نحصر مظاهر الصدمة العولمية في ميدان اللغة في العالم العربي في ثلاث مستويات:**

**المستوى الأول: هو المستوى الشعبي؛ حيث:**

**((١)) التداول بالإنجليزية في الحياة اليومية. ((٢)) كتابة لافتات المحلات التجارية. ((٣)) كتابة الإعلانات والإشهارات. ((٤)) كتابة قوائم الطعام في المطاعم.**

**المستوى الثاني: المستوى التقني في عصر الرقمنة المتطورة؛ حيث إن مشكلة الإنسان العربي المعاصر تكمن في أنه لا يستطيع أن يستورد حلولاً للتغلب على كثير من التحديات: فلن يُترجِم له العالم الخارجي المعارفَ إلى العربية، ولن يقترح له برامجَ إصلاح لُغتِه، أو وسائلَ صنع المعارف بها.**

**التحدي الأول: لغةٌ بلا ذخيرة معرفيّة: يعيش العالم العربي في كوكبٍ آخر بعيدٍ كلية عن مشاريع بناء الذخائر الرقمية المعرفية التي أضحت مركز العلم والمعرفة في عالم اليوم في كل المجالات العلمية والتقنية، وفي معظمِ الحقول الثقافية والعمليَّة، تمتلك اللغات (عدا العربية) اليوم قاعدةً تحتيةً معرفيّةَ رقميةً متعددةَ الوسائط دخلت صناعة المعارف فيها سباقاً يومياً.**

**التحدي الثاني: لغةٌ تعاني من سرطان الترجمة: كثير من عيون الكتب العالمية لم تر النور بعد بالعربية! معظم أمهات الكتب الحديثة التي تشكل نبراس الحضارة المعاصرة غير معروفة بالعربية التي كانت في العصر العباسي لغة الحضارة الكونية بفضل حملة الترجمة الواسعة إليها للكتب الأجنبية في شتى المجالات من فلسفة ومنطق وطب وفلك ورياضيات وأدب، من مختلف اللغات الإغريقية والسريانية والفارسية والسنسكريتية والحبشية... التي أغنتها بروافد فكرية وكلمات ومصطلحات كثيرة.**

**التحدي الثالث: لغةٌ لم تكمل بعد بناءها التحتي الرقمي؛ حيث لا يوجد حتى اليوم قارئٌ ضوئيٌّ آليٌّ لأحرف اللغة العربية يستحق أن يحمل هذا الاسم، رغم امتلاك اللغة الفارسية ذات الأحرف الشبيهة لذلك القارئ الضوئي!**

**يُشكِّلُ عدم تصميم برمجيةِ قارئٍ ضوئيٍّ عربيٍّ حتى الآن عائقاً كبيراً يمنع دخولها عصر الرقمنة.**

**وتفتقر العربية أيضاً إلى برمجيات كمبيوترية مناسبة لتصحيح نصوصها قبل وضعها على الإنترنت وللبحث عنها فيه. الموضوع خطيرٌ في الحقيقة لأن صفحات الإنترنت بالعربية (لاسيما منتديات الدردشة**

**والحوارات، وصفحات الأخبار والتعليقات العامة على الأحداث اليومية والكتابات...) ملطَّخةٌ بأدغال وأعداد فلكية من الأخطاء اللغوية والإملائية التي لا تخطر ببال.**

**ويكفي معرفة أن عدد الكتب التي رقمنها مشروع غوغل في عام ٢٠٠٧ فقط، مليون كتاب، في حين أن ((مشروع الذخيرة العربية)) الذي تدعمه الجامعة العربية بميزانية خاصة منذ ١٩٧٥، لم يُرقمن حتى الآن إلا ٢٣٠ كتاباً.**

**المستوى الثالث: هو مستوى الخطاب الرسمي:**

**لأن الخطاب فيه من أقوى المؤثرات في وسائل الإعلام الحديثة، وربما في كل العصور وفي جميع البلدان؛ فالمسؤول مهما كانت صفته ومرتبته يؤثر على سامعيه ومشاهديه بنطقه وصوته وفصاحته إذا تفصح ولحنه إذا لحن.**

**نَحْوُ أَداءٍ أَفْضَلَ لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ:**

**((١)) اللغة العربية تحتاج إلى مراجعة مستمرة تستهدف اكتشاف التحولات التي تطرأ على برامجها وأنظمتها المختلفة بهدف رصد استجاباتها، واتخاذ التدابير اللسانية الكفيلة بمواجهة المخاطر التي تجابهها.**

**((٢)) وضع مشروع متكامل يضع في الاعتبار مطالبة الأجيال الحاضرة بالالتزام بالحد الأدنى من أساليب اللغة وجمالياتها، مع بذل الجهد المتواصل لملاحقة التطورات التقنية، وإيجاد خطط عملية ممكنة وقادرة على مواجهة المخاطر المحدقة لنثبت أن اللغة العربية.**

**((٣)) ولوج عالم الفضائيات بثقل لغوي يصنع اللسان القويم، وينشئُ الإحساس بالعزة عند التحدث بالعربية، فقد باتت الفضائيات اليوم مكوناً أساساً من مكونات قوى التحول اللغوية التي تملك القدرة على فرض استجابات وتوجهات في عقول المشاهدين وسلوكهم ومواقفهم، كما أن لها دوراً تخريبياً يكمن في ما تفرضه على برامج المشاهدين اللغوية والفكرية من أنماط لغوية.**

**((٤)) إبطال المغالطة التي ترى أن العربية عاجزة عن إبرام العقود والصفقات والإشهارات الترويجية؛ ذلك أن الانحياز الاقتصاد المطلق للإنجليزية بوصفها لغة تداولية وإقصاء العربية يتضمن تبعية شاملة تؤذن بخراب العمران اللغوي وتبشر بالتبعية والاغتراب.**

**((٥)) دعوة وزارة التربية والتعليم في كل بلد عربي للعمل على تعميم فكرة إنشاء مدارس ابتدائية تعتمد فيها اللغة العربية لغة وحيدة للتواصل في هذه المدرسة دون أي استخدام للعامية طوال اليوم المدرسي، داخل الصف وخارجه.**

**((٦)) إن ثمة ربطاً مطرداً بين تقدم اللسانيات الحاسوبية العربية ومنجزاتها وتقدم العربية وتهيئتها لمستقبل أفضل، وذلك أن تعريب الحاسوب وملحقاته ومعداته سيكفل توفير برامج عربية صالحة لبناء مجتمع المعرفة المنشود.**

**ويظهر أن هناك عوامل تجعل من هذا التعريب قضية مصيرية وتسهل تعميمه؛ منها:**

**((أ)) استخدام كثير من الشعوب للحرف العربي (باكستان، إيران...)).**

((ب)) النشر الإلكتروني باللغة العربية.

((ج)) الإفادة مما تزخر به الشبكة العالمية من مواقع لتعليم اللغة الإنجليزية وتعلمها للناطقين بها وللأجانب، وتطوير مواقع مشابهة لخدمة اللغة العربية وتعليمها.

((د)) نشر العربية في الخارج وذلك بافتتاح المدارس العربية التي تعتني بتدريس العربية والثقافة الإسلامية، وشد الجاليات المسلمة إلى التراث العربي، وتقديم المنح للطلبة الراغبين في تعلم العربية ونشرها.

((هـ)) اشتراط إتقان اللغة العربية للعمالة الوافدة إلى البلدان العربية وخاصة بلدان الخليج العربي التي أصبح الهندي فيها مثلا يغضب منك لأنك لا تفهم لغته الهندية.

((و)) اشتراط ترجمة كل ما يكتب على البضائع المستوردة إلى اللغة العربية، وعدُّ هذا المطلب شرطاً للتعامل التجاري مع الشركات والدول المصدرة.

ومما يجب على الطلبة أن يفعلوه ما يلي:

((١)) تنظيم أوقاتهم بما يسمح لهم بزيارة المكتبات والتزود بالمعرفة الضرورية لهم.

((٢)) الابتعاد عن وسائل الإعلام الضارة والتي تؤدي آثارها إلى الإخلال بالمجتمع ككل.

((٣)) المشاركة في الأنشطة التي تساعد على تنمية ثقافتهم الشخصية.

((٤)) الاعتزاز باللغة العربية وعدم استخدام لغات أخرى في الحديث إلا للضرورة.

**الأُسُسُ العِلمِيَّةُ لِبناءِ مَنْهَجِ تَعَلُّمِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ:**

((١)) يجب أن يراعي هذا المنهج التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، مع الاهتمام ببيان مركز الإنسان في الكون ووظيفته في الحياة.

((٢)) يجب أن يراعي في بنائه أيضاً طبيعة التلميذ في كل مرحلة، ومتطلبات نموه العقلي والنفسي والجسمي والاجتماعي، وكيف تسهم اللغة في عملية التنمية الشاملة المتكاملة لشخصية المتعلم وتكوين سمات الإنسان الصالح فيه.

((٣)) يجب أن يراعى المنهج أيضاً منطق مادة اللغة العربية وخصائصها التي لا بد من أخذها في عملية التعلم، ووظائفها التي لابد من العمل على تحقيقها.

**كَيفَ نُحافِظُ على اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بَينَ الطُّلَّابِ:**

لا شك في أن اللغة العربية هي قلب الهوية القومية والوطنية وروح هذه الأمة.. والولاء لهذه اللغة يأتي من باب الانتماء لهذه الأرض وثقافتها وللغتها لغة القرآن الكريم فهي لغة حضارة ولسان مشترك يجمع

**بين أكثر من مليار مسلم في شتى أنحاء الكرة الأرضية.. ولغتنا اليوم تمر بمرحلة غاية في الخطورة بهدف تهميشها والتقليل منها رغم أنها لغة الإبداع والابتكار والتطور والاختراع.**

**وما يحدث اليوم للغة العربية هو نفس المخطط بل أخطر مما حدث في أيام الاستعمار خاصة بعد أن تحول التعليم في المدارس والجامعات إلى اللغة الإنجليزية.**

**إن توسيع مصادر تعلم اللغة العربية لتتجاوز الصف والكتاب المدرسي هو السبيل الوحيد لتطوير مهارات الطالب في الاستماع والحديث بالعربية المعاصرة، فضلاً عن أن الكتاب المدرسي يجب أن يتخطى الشكل الورقي البحت ويستفيد من إمكانيات ثقافة الصورة والحاسوب.**

**إن إعداد مقررات اللغة العربية لغير المتخصصين بها هو الوسيلة الحقيقية لإبقاء صلة الطالب الجامعي باللغة العربية وإكسابه المهارات الأساسية.**

**إن تعلم لغة أجنبية وإجادتها ضرورة في عصرنا ولكن هذا لا ينبغي أن يتم على حساب اللغة القومية.**

**الطَّلَبَةُ العَرَبُ وَدَورُهُم في الحِفاظِ على الثَّقافَةِ العَرَبِيَّةِ:**

**ومما يجب لهم من حقوق ما يلي:**

**((١)) التنشئة السليمة من الأهل منذ الصغر على حب وتعظيم الثقافة العربية.**

**((٢)) توفير كافة الوسائل التعليمية والإرشادية لهم وإتاحتها دون.**

**((٣)) وضع مناهج دراسية وطرق تعليمية تعطى للطلبة الفرصة للتزود بالمعرفة خارج نطاق المنهج الدراسي المقرر.**

**((٤)) إضافة مناهج لتدريس اللغة العربية على كافة الكليات بما فيها الكليات العملية والتي تعتمد فيها الدراسة على لغات أخرى كالإنجليزية.**

**((٥)) إقامة ندوات وورش عمل لتثقيف الطلبة وزيادة وعيهم بالثقافة العربية.**

**((٦)) تشجيع إقامة الأنشطة التي تحفز الطلبة على صقل معارفهم ومهاراتهم اللغوية والثقافية.**

**المُحاضَرَةُ الثَّالِثَةَ عَشرَةَ**

## الدِّينُ وَالعِلمُ

**عَناصِرُ المُحاضَرَةِ:**

**((١)) تمهيد:**
**((٢)) تعريف الدين وأهميته للإنسان والمجتمع.**
**((٣)) تعريف العلم وأهميته.**
**((٤)) وحدة الدين والعلم.**
**((٥)) الصراع بين الدين والعلم في أوروبا.**
**((٦)) موقف الإسلام من العلم.**

**تَمهِيدٌ:**

- **هل هناك قضية بين الدين والعلم يمكن أن تبحث؟**
- **هل العلاقة التي بين الدين والعلم هي ما بين كفتي الميزان من توازن وتراجح؛ فإذا خفت كفة أحدهما ثقلت كفة الآخر؛ بحيث إذا ساد الدين انحسر ظل العلم، واستولى الجهل على الناس، وانتشرت الترهات والأباطيل، وإذا ساد العلم انكمش ظل الدين، وضمر وجوده، وانزلق الناس في الشهوات والمصالح الذاتية فلا يجدون ما يقودهم إلى الحق والعدل، ويحملهم على رعاية الفضيلة وانتهاج سبلها؟**

**إن التاريخ يشهد بمساهمة الأديان في بناء الحياة الإنسانية، والتأثير في عقول الناس وقلوبهم وإقامة المجتمعات والحضارات، وفي غرس الفضائل والأخلاق، وتكوين العادات الطيبة، وتنظيم الحياة الإنسانية، وضبط حدود الحقوق والواجبات بين الناس.**

**فقد سجل التاريخ ذلك في حياة الفراعنة واليونان والرومان والهنود والصينيين والبابليين والأشوريين، وهم يدينون بديانات وضعية فكيف بالأمم التي تدين بديانات سماوية بعث الرسل بها لخير البشرية جمعاء**
**إنه لا يمكن لعاقل عرف وظيفة الدين ومكانته في حياة البشر أن ينكر حقيقة سلطانه على النفوس، واقتداره على قيادة الناس، وإلزامهم كلمة التقوى؛ إذ كيف للإنسان أن يسير عُطلاً من المرشد الذي يُبَصِّره بمعالم الطريق، ويهديه سواء السبيل؟**
**هل الدين في أي مجتمع هو حقاً علة وقوع الإنسان في الضعف والهوان؟ وهو علة تأخر المجتمعات وانحطاطها، وأن ذلك يتبين بمقارنتها بما آل إليه حال المجتمعات المادية الملحدة من تقدم وتطور؟**
**وثم سؤال أخير .. أحقاً أن النهضة العلمية الحديثة والمدنية التي نشأت وتطورت في المجتمعات المادية الملحدة قامت منفصلة عن الدين، بعيدة عن مؤثراته؟**

## تَعرِيفُ الدِّينِ وَأَهَمِّيَّتُهُ لِلإِنسانِ وَالمُجتَمَعِ:

((١)) تعريف الدين

في اللغة يعني الذل والطاعة والخضوع والانقياد لوضع معين، هذا الوضع إما أن يكون إلهياً أو غير إلهي.

وفي الاصطلاح هناك من يرى أن الدين: ((وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات)).

وهناك من ينتقد هذا التعريف، ويرى أن الدين أعم من أن يكون خاصاً بالدين السماوي؛ وأنه يشمل كل الأديان، فهو ((قوة سماوية أو وثنية، مادية أو معنوية تُعبَد وتُسيَّد وتَطَاع)).

ولا ريب في أن التعريف الثاني أصح؛ فهو المنسجم مع معنى الدين في القرآن الكريم؛ فقد استعمل القرآن الكريم هذه المفردة مع الوثنية ديانة أهل مكة، وهي غير سماوية، واستعملها مع الإسلام وهو الدين السماوي الإلهي الحق في قوله : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

ووصف الله الإسلام بأنه الدين الحق الذي أظهره الله على جميع الأديان الباطلة سماوية كانت أم وضعية؛ قال : ﴿هُوَ الَّذِي أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾.

((٢)) أهمية الدين للإنسان والمجتمع :

الأديان ذات حضور مؤثر في حياة الإنسان، وفي بناء المجتمع مهما كان هذا الدين من الصحة أو البطلان، وما من مجتمع إلا وقد تدين، فالتدين تأتي أهميته للإنسان والمجتمع من النواحي التالية:

(أ) أنه فطرة خلق عليها الإنسان، ينزع إليها ليشبع حاجة الروح إلى الإيمان بالمعبود، ويستمد منها عقيدته ومفاهيمه للوجود والحياة، ويضبط به أمور حياته.

(ب) أنه ضرورة حيوية لاستكمال وجود الإنسان، واستقرار حياته، وانتظام معيشته، يستمد منه القوة الدافعة إلى العمل، ويتزود منه الصبر على مكاره الحياة، والثبات في وجه تياراتها الهائجة، وعواصفها القوية.

(ج) أنه ضرورة اجتماعية يتم عن طريقها التأكيد على الإيمان بالقيم والفضائل، والالتزام بالأحكام والقوانين التي تعنى بتنظيم شؤون الحياة؛ فإنه إذا قُدِّر لمجتمع أن يضرب بسهم في مجال الالتزام بالمبادئ والقيم فلن يجد قوة أقوى من الدين تحمل أفراده على التمسك بزمامها، وترد الشارد منهم ، وتتجه بهم جميعاً نحو الكمال والمثالية.

## تعريف العلم وأهميته:

((١)) تعريف العلم:

في اللغة يعني اليقين والمعرفة والإدراك، وهو نقيض الجهل، وهو كما قال الراغب الأصفهاني: (إدراك الشيء بحقيقته).

أو هو: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع الناتج عن دليل؛ فإن لم يكن كذلك كان ظناً أو جهلاً أو تقليداً، ويطلق على الصفة الراسخة التي يدرك بها الإنسان الكليات والجزئيات.

**ويقصد به: مجموعة المعارف والحقائق التي وصلت إلى الإنسان عن طريق الوحي، أو توصل إليها من خلال تفكيره وملاحظاته وتجاربه طوال فترة حياته.**

**وقد وضح ابن خلدون هذين النوعين من العلوم وبين أنهما صنفان: صنف طبيعي للإنسان يقف عليه بفكره، ويهتدي إليه بمداركه، وصنف نقلي يستند إلى الخبر عن الواضع الشرعي، لا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول.**

**إن العلم وفق هذين المعنيين تراث متراكم من المعارف والحقائق والمعلومات، يعنى بدراسة الجزئيات، ويتجه نحو العمق في المسائل والاهتمام بالتخصص العلمي.**

**وتنقسم هذه العلوم إلى قسمين: الأول علوم دينية وإنسانية خاصة بأمة بعينها كعلوم الدين والأدب والتاريخ والاجتماع، والآخر علوم حسية تجريبية تطبيقية مشاعة ساهمت في إنشائها وتراكمها كل الأمم.**

**((٢)) أهمية العلم:**

**العلم ضروري للإنسان والمجتمع، وتأتي أهميته من النواحي التالية:**

**(أ) أنه وسيلة التحرر من الجهل والخرافة والوهم، فالعلم يطارد هذه الآفات كما يطارد النور الظلام، ولا يمكن أن يستقيم حال إنسان من غير علم ينير له طريق حياته، ويهديه إلى الخير، كما أن المجتمع لا يمكن أن يستقر ويتطور إذا لم يعتمد على العلم النافع، ويأخذ بأسباب الحضارة والتطور.**

**(ب) أنه سبيل الخلوص من العبودية لغير الله ، وطريق معرفة الله ومعرفة شرعه، وأداة إصلاح أمر الإنسان في الدنيا والآخرة؛ فإن التكليف مناط بالعقل، وهو وسيلة فهم الخطاب الشرعي وإدراك مراد الشارع.**

**(ج) أنه أداة استعمال العقل والحواس للوصول إلى المعرفة، وأداة تدبر القرآن لإصلاح النفس، وأداة التفكر في ملكوت السموات والأرض لإدراك سنن الله ، وأداة التعرف على أمور الدنيا عن طريق الملاحظة والتأمل لإصلاح حال الإنسان وبيئته.**

**وإذا كان العلم المؤدي إلى معرفة الله ومعرفة شرعه يستند على الوحي فإن العلم الطبيعي والتجريبي يستند على البرهان واليقين، وقد أحيل الإنسان فيه إلى عقله واجتهاده؛ لقول الرسول : ((أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِشُؤُونِ دُنْيَاكُم)).**

**وغاية ما يهدف إليه كما يقول (برتراند رسل) هو محاولة اكتشاف حقائق معينة عن العالم ومن ثم القوانين التي تصل الحقائق ببعضها بحيث يمكن التنبؤ بحوادث مستقبلية، ويتم هذا عن طريق الملاحظة والتفكير الذي يستند عليهما، وتأتي أهمية هذا العلم من ناحية قدرته على توظيف المعرفة لإنتاج وسائل الراحة والرفاه التي كانت مستحيلة، أو ذات كلفة عالية في حقبة ما قبل هذا العلم.**

**وحدة الدين والعلم:**

**الإنسان بحاجة إلى الدين والعلم، فهما يهيئان له الحياة الكريمة، ويمنحانه حقوقه، وينظمان حياته وعلاقاته بغيره، ويستحثانه على الفهم والتفكير والعمل، ويرشدانه إلى ما فيه مصلحته؛ لذا كان من الضروري أن يكون الدين والعلم في صحبة مستمرة، وألفة دائمة، وأن يكون العلم وما يتوصل إليه من نتائج**

داعما لحقائق الدين، ومصدقا لما جاء به، وأن يكون الدين بمعتقداته وأحكامه وشرائعه شاحذا للعقول، ومُبَصِّرا للقلوب، وهاديا لها إلى منهج الحق المبين والنفع للناس أجمعين.

إن الإنسان بحاجة إلى الدين والعلم لا يغنيه أحدهما عن الآخر، فالعلم لا يغني عن الدين، فقد يخيل لأحد أن الإنسان بالعلم يستطيع أن يتجه في حياته نحو الخير فلا يضل الطريق، ولا يشقى، إن ذلك محض ادعاء لا تقوم له حجة من واقع الحياة، ولا من شواهد التاريخ، فما كان العلم وحده يوماً عاصماً للإنسان من الزلل الخلقي، ولا قادراً على إقامة وازع في نفسه يردعه عن اتباع الهوى.

خلافاً للدِّين الذي يزجر صاحبه عن ارتكاب الإثم، وإذا ارتكبه متعمداً جعله يشعر بالخطأ والندم، إنه لا شيء يقوم مقام الدين في إقامة الوازع القوي اليقظ الذي يقوم دائماً بين الإنسان وبين نوازع السوء والضلال.

فهل يا ترى يقوم العلم الطبيعي والتجريبي هذا المقام؟ فيبعث العلم بقانون الجاذبية أو الذرة أو بمعلومة علمية أخرى لدى الإنسان الإحساس بالإثم والشعور بالواجب ما يبعثه الدين.

كما أنه لا شيء يقوم مقام العقل في إثبات الإيمان والقطع بصحته وصدقه.

وهذا يعني أن الإيمان يمازج العقل، ويقيمه دليلاً هادياً إليه، بحيث لا يبقى أثر لتوهم أن الإيمان على الدوام تسليم بما يأباه العقل، وأن العقل وظيفته القبول المحض؛ فليس له حق الحكم على أدلة الدين، واستنباط الأحكام من مظانها بحسب قدرته من الفهم والإدراك.

إن ثمة أمراً آخرَ لا بد منه لتحقيق الانسجام التام بين الدين والعلم وهو صحة الجانبين:

جانب الدين بحيث يكون قائماً على مصدر موثوق، خالياً من الهوى والخرافة والباطل.

وجانب العلم بحيث يكون قائماً على دليل صحيح من النقل أو العقل سالم من الظن والتخمين والكذب.

وكان من فضائل الإسلام التي تميز بها بين الأديان أنه ارتكز على العلم، وحث أتباعه على البحث عن حقائقه، وفتح لهم أبواب التفكر في هذا الخلق الواسع المليء بالسنن الكونية والقوانين العلمية:

يقول العقاد: ((فضيلة الإسلام الكبرى أنه يفتح للمسلمين أبواب المعرفة، ويحث على ولوجها والتقدم فيها، وقبول كل مستحدث من العلوم على تقدم الزمن، وتجدد أدوات الكشف ووسائل التعليم، وليست فضيلته الكبرى أنه يقعدهم عن الطلب، وينهاهم عن التوسع في البحث والنظر؛ لأنهم يعتقدون أنهم حاصلون على جميع العلوم)).

لقد دفع الإسلام الإنسان نحو التعرف على أسرار الكون ونواميسه، والتوسع في الكشوف العلمية فكان في ذلك انتصار لقضية الدين؛ إذ لا خوف على الإسلام من البحث العلمي؛ فالحقيقة لا تخشى البحث، والإسلام على يقين من أن البحث العلمي السليم والتأمل السديد يوصلان إلى نفس النتائج التي يقررها.

وكان هذا الاتجاه أيضاً داعماً لقوة الإنسان التي تزداد صلابة كلما استزاد من معين الإيمان بالله ؛ فليس معدن الدين من معدن الضعف في الإنسان، وليس الإنسان المؤمن هو الواهي الهزيل، وربما كان الأصح

**والأولى في التقدير والتحقيق أن عظم العقيدة في الإنسان على قدر إحساسه بعظمة الكون والتدبر في أسراره وخفاياه.**

**الصراع بين الدين والعلم في أوروبا:**

**حدث صراع مرير في القرون الوسطى بين رجال الكنيسة الكاثولكية في روما ورجال العلم التجريبي نتيجة أبحاثهم واكتشافاتهم التي بينت بطلان بعض الآراء في المسائل الفلكية والجغرافية التي أضفت الكنيسة عليها صفة الدين، وجعلتها جزءا من النصوص المقدسة التي يمنع نقضها أو نقدها أو مناقشتها، ورأت أن في نتائج هذه الأبحاث والكشوف جرأة على الكنيسة التي كانت تمسك بزمام السلطة على كافة أصقاع أوروبا ، وهدما لتعاليمها؛ لذا نظرت إلى هذه الحركة العلمية القائمة على العقل بحذر وتوجس خوفاً على سلطانها ومكانتها، لكن الصراع ما لبث أن تفاقم بين الطرفين منعكساً سلباً على العلاقة بين الدين والعلم، فقد قامت الكنيسة بهجمة شرسة على العلماء، فكفرتهم وبَدَّعتهم واستحلت دماءهم، وأنشأت لمعاقبتهم محاكم التفتيش.**

**فعلى سبيل المثال حكمت محكمة التفتيش في مدة لا تزيد على ثمانية عشر عاماً من ١٤٨١م – ١٤٩٩م على عشرة آلاف ومئتين وعشرين شخصاً بالحرق أحياء فأحرقوا، وعلى ستة آلاف وثمانمئة وستين بالشنق فشنقوا، وعلى سبعة وتسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بعقوبات مختلفة فنفذت.**

**ومن العلماء الذين اضطهدتهم الكنيسة (غاليلو) بسبب قوله بأن الأرض تدور حول الشمس، وأن هناك كواكب سيارة تزيد عن السبعة التي ذكرت في الكتب المقدسة، فقد اعتبروا ذلك نوعاً من الإلحاد، فسجن سنة ١٦١٥م بناءً على حكم صدر من محكمة التفتيش في روما، مما اضطره إلى التراجع عن آرائه، وأقسم على أن يعلن توبته وهو جاث على ركبتيه أمام (البابا أوربان الثاني) قائلاً: ألعن واحتقر خطأ القول وهرطقة الاعتقاد بأنَّ الأرض تدور.**

**وأفلت (كوبرنيكس) من قبضة الكنيسة بتدارك الموت له عقوبة على قوله بكروية الأرض، وطاردت الكنيسة (برونو) لتقريره كروية الأرض ودورانها إلا أنه قبض عليه بالبندقية، وسجن بروما، ثم أحرق حياً.**

**ومن أهم الأسباب التي أدت إلى هذا الصراع وهذه العداوة بين رجال الدين والعلم في أوروبا ما يلي:**

**((١)) تعسف الكنيسة وتسلطها على رجال العلم والفكر.**

**((٢)) تبني الكنيسة لبعض النظريات الفلكية والآراء الجغرافية.**

**((٣)) تعنت الطرفين في التمسك بآرائهما.**

**((٤)) اختلاف المنهج العلمي عن الدين السائد في أوربا.**

**إن حقيقة هذا الصراع لم تكن بين الدين بصبغته الإلهية النقية، وإنما بصبغته المحرفة التي كانت عليها النصرانية في تلك الفترة من الزمن.**

**وإن ما حققه العلم من انتصار كان في المواقع التي انتصر فيها العقل واليقين على الخرافة والوهم.**

**إن الحق من الطرفين هو الذي انتصر فلو كانت تعاليم الكنيسة حقاً خالصاً، والعلم بمنهجه الجديد في أوروبا يقيناً مجرداً لما حدث هذا الصراع.**

**وإنه من المؤسف أن جناية رجال الدين على الحقيقة العلمية كانت أشنع من جناية أنصار المنهج الحسي التجريبي عليها، وأن كلا الطرفين كان مسؤولاً عن النتائج المؤسفة لهذا الصراع.**

**موقف الإسلام من العلم:**

**الإسلام هو دين العلم، فقد كانت أول آيات كتابه الكريم نزولاً هي أمر بالقراءة، قال : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَقٍ اقرَأ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسانَ ما لَمْ يَعْلَم﴾.**

**كما أن الله أقسم فيه بالقلم تعظيماً له: ﴿ن وَالقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ﴾؛ وفي هذا دلالة عظيمة على احتفاء الإسلام بالقراءة والكتابة لما لهما من أهمية بالغة في تقييد العلم والمعرفة وضبطهما.**

**كما أن الله رفع درجات العلماء تقديراً لمكانتهم، وتعظيماً لشأنهم: ﴿يَرفَع اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ دَرَجاتٍ﴾.**

**وما ذاك إلا لكون العلم نعمة إلهية يخص الله بها من يشاء من عباده: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوْتِيَ خَيراً كَثِيراً﴾ وقال الرسول : ((العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأنبياءِ)).**

**–ومصدر العلم هو الله؛ إذ قال : ﴿الرَّحمَنُ عَلَّمَ القُرآنَ خَلَقَ الإنسانَ عَلَّمَهُ البَيانَ﴾.**

**وقال : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾.**

**وقال : ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾.**

**وقال : ﴿وعلم الإنسان ما لم يعلم﴾.**

**–إلا أن طريق الإنسان إلى هذا العلم بحسبه، فصنف منه يصل إليه عن طريق الوحي، وهو ما دل عليه قوله : ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾.**

**–والصنف الآخر يصل إليه عن طريق العقل بالتفكير والملاحظة والتأمل والرصد والتجربة والسير في الأرض والنظر في خلق الله للبحث عن سننه الكونية؛ قال : ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾، وقال : ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾.**

**–والعلم الصحيح هو ما كان مبنياً على مصادر صحيحة أو تفكير صحيح أو تجارب ثابتة بعيداً عن الجهل والظن والكذب.**

**قال : ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم﴾، وقال : ﴿وَلا تَقْفُ ما ليس لك به علم﴾، وقال : ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾.**

**–وعموماً فإن العلم في الإسلام فريضة واجبة يتقرب بها إلى الله، وطريق من طرق العبادة يوصل إلى الجنة.**

**قال : ((طَلَبُ العِلمِ فَرِيضَةٌ عَلى كُلِّ مُسلِمٍ)).**

**وقال : ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلتَمِسُ فِيهِ عِلمَاً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إلى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجنِحَتَها لِطالِبِ العِلمِ)).**

–وبناء على هذا الحكم اعتنى علماء المسلمين بعلوم الدين بياناً وتوضيحاً واستنباطاً مستندين في فهمهم على كتاب الله ، وسنة نبيه ، واشتغلوا بها بحثاً ودراسةً وتعليماً.

–فأنشؤوا المدارس، وأقاموا حوانيت الوراقين التي كانت أسواقاً للعلماء ومناظراتهم، وشيدوا المكتبات لخدمة العلم، وتيسير الاطلاع على ما ألف من علوم.

–ولم يكن الاهتمام مقصوراً على علوم الدين بل شمل العلوم التي تعتمد على الحس والتجريب، فإن الحس والتجربة يعدان أساسين لهذا الصنف من العلوم.

–فقد أكد ابن حزم في كتابه ((التقريب في حدود المنطق)) أن الحس أصل من أصول العلم، وأن ابن تيمية بين في كتابه نقد المنطق أن الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة إلى اليقين.

–فالمنهج التجريبي وليد الفكر الإسلامي وليس من ابتكار الفكر الغربي.

–يقول بريفولت في كتابه ((بناء الإنسانية)): ((ليس لروجر بيكون ولا لسميه الذي جاء بعده الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية)).

–وكان من مظاهر الاعتماد على الحس والتجريب في العلم الطبيعي عناية علماء المسلمين بعلم الفلك ومعرفة طوالع النجوم، وذلك لمعرفة منازل الهلال وأوقات الصلاة والصيام والحج، ولهذا الغرض أنشئت المدرسة الفلكية ببغداد، ويعد (البتّاني) أحد عشرين عالماً فلكياً في العالم، وألف البيروني كتاب ((الاستيعاب في وضع الإسطرلاب))، وقد استطاع المسلمون دراسة حركة الشمس وانحرافها، ومعرفة الانحراف القمري الثالث الذي عد اكتشافاً جديداً، كما اعتنى علماء المسلمين بالرحلات الجغرافية، فكتبوا عن المسالك وطرق القوافل والبريد، ووصفوا الجبال والبحار والأنهار.

–ورسم (الأدريسي) خريطة اشتملت على أماكن لم تعرف إلا من قريب.

–كما اهتم علماء المسلمين بعلوم الرياضيات فكان (الخوارزمي) أول من ألف في علم الجبر، له كتاب ((الجبر والمقابلة)).

–وألف ابن الهيثم كتاب ((تربيع الدائرة)) وكتاب ((الأشكال الهلالية))، وألف البيروني كتاب ((استخراج الأوطار))، وفي علم الفيزياء وضع (ابن الهيثم) كتابه ((البصريات)) الذي أسسه على دراسة تجريبية.

–وفي علم الكيمياء كان المسلمون أول من استعمل طرق التصعيد والتبلور والتذويب والتصفية لاستخراج المواد أو مزجها، وأول من صنع المراهم والدهانات، وأول من حضر الحوامض مثل تحضير زيت الزاج (حامض الكبريتيك).

– وفي علم الطب بلغ علماء المسلمين درجة من التفوق والريادة، فقد بقيت كتبهم تدرس في جامعات الغرب إلى عهد قريب، ومن مشاهير أطباء المسلمين (الرازي) وله كتاب ((الحاوي)) تحدث فيه عن صناعة الطب.

– ومن عباقرة الطب (ابن سينا) الذي ألف كتاب ((القانون)) الذي كان محط إعجاب في جميع الأوساط العلمية إلى اليوم، وقد ترجم إلى عدة لغات، ومن الأطباء المشهورين: (جابر بن حيان) و(الزهراوي) و(ابن النفيس) وغيرهم، وبرز المسلمون كذلك في علم الصيدلة، فقاموا بفن المستحضرات كتحضير الأشربة

**واللعوق واللزقات، وألف (ابن جزلة) كتاب ((منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان)) جمع فيه أسماء الأعشاب والعقاقير.**

**-إن انجازات علماء المسلمين في العلوم التجريبية لا يمكن حصرها؛ فقد تمكنوا من تطوير العلوم التي ورثوها من الأمم الأخرى كعلوم الفلك والطب.**

**-بل إنهم ابتكروا علوماً جديدة كعلمي الجبر والكيمياء، واعترف لهم بهذا الفضل علماء أوروبا الذين لا يزالون يكتشفون من كنوز علومهم وأسرار معارفهم ما يستفيدون منه في تحسين أمورهم وزيادة معرفتهم فهذا (دار بر) في كتابه ((التنازع بين العلم والدين)) يشيد بعلماء المسلمين وأنهم كانوا متبعين في أبحاثهم الأسلوب العملي التجريبي بعد أن تحققوا من أن الأسلوب العقلي النظري لا يؤدي إلى التقدم، وأن الوصول إلى الحقيقة في هذه العلوم لا يكون إلا بمشاهدة الحوادث ذاتها؛ لذا كان شعارهم في أبحاثهم الأسلوب التجريبي والعمل الحسي.**

**-إن هذا المنهج هو الذي قاد المسلمين لأن يكونوا أول واضعي علم الكيمياء، وأول من اكتشف آلات التقطير والتصعيد والإسالة والتصفية الخ...**

**-وهو الذي جعلهم يستعملون في أبحاثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المعلمة والإسطرلابات (آلات قياس أبعاد الكواكب)، وبعثهم على استخدام الميزان في العلوم الكيمائية الخ، وهو الذي جعلهم يترقون في الهندسة وحساب المثلثات، وهَمَّ بهم لاكتشاف علم الجبر.**

**-إن ذلك غيض من فيض، يصعب حصره والإلمام به، وكان لنتائج هذه العلوم أثر جلي في تطوير فنون الزراعة في أساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات وإدخال زراعة الأرز والسكر والبن، وانتشار المعامل والصنائع كنسج الصوف والحرير والقطن وإذابة المعادن وسبكها وتهذيبها.**

## المحاضرة الرابعة عشرة

## تَأَخُّرُ المُسلِمِينَ وَسَبِيلُ النُّهُوضِ بِهِم

**عناصر المحاضرة:**

((١)) تمهيد.

((٢)) مفهوم التخلف.

((٣)) متخلفون عن ماذا؟

((٤)) مظاهر التخلف.

((٥)) أسباب التخلف.

((٦)) جهود الخروج من التخلف.

((٧)) ما هو سبيل النهوض بالمسلمين؟

**تمهيد:**

**-ظلت الأمة الإسلامية متماسكةَ البناء الحضاري، متألقة في سماء الإبداع والعطاء، ممثلة نموذجاً فذّاً للنظام الذي يحقق للإنسان إنسانيته ويحفظ له كرامته ويضمن له فعالية مطردة في مجالات التقدم.**

**-ولم يتحقق هذا إلا بفضل ذلك المنهج الحضاري الشامل الذي لم يترك صغيرة ولا كبيرة مما يحتاجه الإنسان في مسيرته الحضارية إلا هيأه ووفره.**

**-وما هو قابل للاجتهاد بواسطة العقل وضع له الضوابط الدقيقة التي تعصم العقل من الزيغ في حركته الاجتهادية، وبذلك وصلت الأمة الإسلامية قمة الازدهار وقمة العطاء...**

**-ولكن أتى عليها حين من الدهر وجدت نفسها وقد ولى عنها ذلك المجد الزاهي فرجعت القهقرى، وبتعبير آخر تخلفت وتأخرت، وحلت بها الأزمة.**

**-فما هي الأسباب التي كانت وراء التخلف؟ وكيف السبيل إلى بعث الحضارة من جديد؟**

**مفهوم التخلف:**

**التخلف لغة:**

**جاء في ((لسان العرب)) لابن منظور (مادة تخلف) ما يلي: ((الخلف ضد قُدَّام... وجلست خلف فلان أي بعده... والتخلف: التأخر.**

**وفي حديث سعد: فخلَّفنا فكنا آخر الأربع أي أخَّرنا ولم يُقدمنا، والحديث الآخر: ((حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم أي يتقدم عليهم ويتركهم وراءه))، ومنه الحديث: ((استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم))؛ أي: إذا تقدم بعضهم على بعض في الصفوف تأثرت قلوبهم، ونشأ بينهم الخلف، وفي الحديث: ((لتُسَوُّنَّ صُفوفَكم أو ليخالفنَّ الله بين وجوهكم))؛ يريد أن كلاً منهم يصرف وجهه عن الآخر ويوقع بينهم التباغض؛ فإن إقبال الوجه على الوجه من أثر المودة والألفة)).**

**متخلفون عن ماذا؟**

-**اصطلاحاً:**

**-إن مفهوم التخلف يتضمن أو يفترض وجود نموذج يجسد التقدم وآخر متخلف عنه، فمشيت خلف فلان يعني أنني تخلفت عنه، وتخلفت عن الركب يعني أن تخلفي يقاس بالموقع الذي يحتله ذلك الركب في المسار الذي يفترض السير فيه.**

**-ومن هذا المنطلق نجد كثيرًا من الكتاب والباحثين الذين أثاروا قضية تخلف المجتمع المسلم يرون أن هذا المجتمع متخلف بالنسبة للمجتمع الغربي وقد خضعوا في نظرتهم تلك، للمقياس الذي أشاعه الغرب للتقدم والتخلف.**

- **وهو اعتبار نموذجه ممثلاً للتقدم، واعتبار نماذج بلدان آسية وإفريقية وأمريكا اللاتينية نماذج التخلف، ولم يقصر ذلك على الجوانب التقنية والعلمية والصناعية ومستويات المعيشة، وإنما مدها إلى القيم والأخلاق ومكونات الشخصية، فاعتبر نموذجه معيار التقدم وأخذ يقيس عليه النماذج الأخرى، التي ستعتبر متخلفة بالضرورة ما دامت وحدة القياس هي النموذج الغربي.**

**-والواقع أننا عندما نحكم على أمة بالتخلف فلا بد لنا من مقياس نستند إليه في ذلك الحكم، ولكن الذي ينبغي أن ينعقد عليه يقيننا أن ذلك المقياس ليس هو إطلاقًا نموذج الغرب وحضارته المادية.**

**-وإنما هو النموذج الإسلامي المتكامل الذي تجسد على أرض الواقع ردحًا من الزمان وأشع بأنواره على البشرية كلها، ولا يزال إلى الآن وإلى الأبد مثالاً ترنو إليه الأبصار والعقول التي تدرك المعنى الحق للحضارة والتقدم.**

- **والسبب في ذلك واضح، وهو أن النموذج الغربي قد قام على أساس مادي صرف وعلى رؤية مبتورة لمفهوم التقدم مشتقة من رؤيته للكون والحياة والإنسان... وهي رؤية لا تحتل منها القيم الأخلاقية والفضائل التي تسمو بحياة الإنسان وتميزه عن الحيوان حيزًا يذكر.**

**-ومن هنا وجب تحرير عقول المسلمين من ذلك الاقتران الخطير الذي درجت على استساغته، وهو الاقتران بين التقدم ومجتمع الغرب، غافلين كل الغفلة عن أن ذلك الطراز من التقدم إذا وضع في ميزان الإسلام سيكون مصيره الرفض لأنه يهتم بإشباع حاجات الإنسان المادية، ويخنق فيه حاجاته الروحية، وهو في النتيجة والمآل سينعكف على منتوجاته المادية ويدمرها تدميرًا، في غياب الحصن الأخلاقي الذي يحمي مكاسب الإنسان الحضارية ويصونها من الفساد.**

- **إننا عندما نحلل مكونات الحضارة الغربية في ضوء ما سبق ننتهي إلى وضعها في قفص الاتهام، بل إننا لا نتردد لحظة في وصمها بوصمة التخلف لأنها بعيدة بأوضاعها وأجوائها عن الوضع الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان؛ فبينما وتائر الإنتاج المادي في تصاعد إذ بالإنسان يمعن في الارتكاس حتى وصل إلى هذه الصورة البائسة التي نراه عليها اليوم من تمزق وانحلال وعبثية عمياء.**

**-ومن هنا فإننا عندما نتحدث عن التخلف الحضاري للأمة العربية الإسلامية فلا يخطرنَّ ببال أصحاب العقول الراجحة أننا نقيس الأمة الإسلامية على الحضارة الغربية.**

**–بل إننا نصف الأمة الإسلامية بالتخلف ونحن على يقين أن من أهم أسباب تخلفها الجريَ وراء نموذج الغرب، ومحاولة الاقتداء به والسير في ركابه ورؤية الحياة كما يراها هو، والاصطباغ بصبغته المادية التي حولت الإنسان إلى بهيمة سائمة، بل أضل سبيلاً.**

**–إن في (مجتمعنا الإسلامي) أزمة، لا بل أزمات؛ يعبر عنها في الممارسات السياسية والاجتماعية، والاقتصادية والتربوية والخلقية، وتأخذ طابع الازدواجية في السلوك، والانحراف شبه الكلي عن أصالة المبادئ والقيم التي تنتمي إليها الأمة.**

**– والأزمة تلح علينا بصور عدة ونراها تقعد وتهبط تبعًا لمؤثرات كثيرة وأحداث متلاحقة، إلا أن حدتها قد اشتدت وأصبحت تنذر بشر مستطير؛ منه تدهور الأمة وانحلالها وانعدام أثرها وفاعليتها، واختزال دورها إلى مستوى هامشي لا يعتد به.**

**ما هي مظاهر التخلف؟**

**– للتخلف في العالم الإسلامي مظاهر عديدة تشمل مختلف أبعاد الحياة؛ مثل:**

**((١)) التخلف الاقتصادي.**

**((٢)) التخلف الاجتماعي.**

**((٣)) التخلف الثقافي والفكري.**

**((٤)) التخلف السياسي.**

**((٥)) التخلف العلمي والتقني.**

**جهود الخروج من التخلف:**

**– لو فحصنا سجلات المئة سنة الماضية من أعمال المصلحين والمفكرين وجهود الأمة لوجدنا فيها كثير من الوثائق والدراسات ومقالات الصحف والمؤتمرات التي تتصل بموضوع النهضة.**

**–هذه الدراسات تعالج الاستعمار والجهل هنا، والفقر والبؤس هناك، وانعدام التنظيم واختلال الاقتصاد أو السياسة في مناسبة أخرى، ولكن ليس فيها تحليل منهجي للمرض، أعني دراسة مرضية للمجتمع المسلم، دراسة لا تدع مجالاً للظن حول المرض الذي يتألم منه منذ قرون.**

**–ففي الوثائق نجد أن كل مصلح قد وصف الوضع الراهن تبعاً لرأيه أو مزاجه أو مهنته.**

**–فهناك من رأى أن الأزمة سياسية تحتاج حلاً سياسيًا، فركز كل جهوده في التغيير والإصلاح السياسي، وانتقاد فساد الحكم، ومحاولة تغيير أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية .**

**– وهناك من رأى أنها أزمة أخلاقية تستلزم حلاً أخلاقيًا، فذهب إلى أن الحل يكمن في الالتزام بالخلق الإسلامي الرفيع، والإقلاع عن المعاصي بمعناها الفقهي فقط، وبالتالي راح يتذمر من الفساد الأخلاقي، واعتبره مكمن الداء**

**–وهناك من رأى أنها أزمة عَقَدِيَّة تستلزم إصلاح العقيدة، وأنْ لا حل إلا بتخليص العقيدة من الكلام والفلسفة، وإعادة تعليم الناس عقائد الإسلام، وإقناعهم بأن الله هو الخالق وهو المعبود الحقيقي، وأن الالتزام بعقيدة التوحيد هو الحل، فتوجه إلى صياغة علم العقيدة من جديد بأسلوب آخر.**

**-على حين أن كل هذا التشخيص لا يتناول في الحقيقة المرض بل يتحدث عن أعراضه.**

**-وقد نتج عن هذا أنهم منذ مئة عام لا يعالجون المرض، وإنما يعالجون الأعراض، وكانت النتيجة قريبة من تلك التي يحصل عليها طبيب يواجه حالة مريض بالسل، فلا يهتم بمكافحة الجراثيم، وإنما يهتم بهيجان الحمى عند المريض.**

**أسباب التخلف (التأخر):**

**أسباب داخلية أساسية:**

**المرض كامن في نفس المسلم، وفي ثقافته الموروثة من زمن الانحطاط، كما هو كامن في سلوك المسلم وتصرفاته اليومية، وفي قلبه وعقله.. والأزمة تكمن في الأدران العالقة بالمسلم من تراث الانحطاط عبر القرون.**

**سبب خارجي ثانوي:**

**المعامل الاستعماري الذي يستغل ضعفنا وقابليتنا للاستعمار.**

**– والمريض نفسه يريد – ومنذ مئة عام – أن يبرأ من آلام كثيرة: من الاستعمار ونتائجه، من الأمية بأشكالها، من الفقر رغم غنى البلاد بالمادة الأولية، من الظلم والقهر والاستعباد، من ومن، ومن، وهو لا يعرف حقيقة مرضه ولم يحاول أن يعرفه، بل كل ما في الأمر أنه شعر بالألم، ولا يزال الألم يشتد، فجرى نحو الصيدلية، يأخذ من آلاف الزجاجات ليواجه آلاف الآلام.**

**– وليس في الواقع سوى طريقتين لوضع نهاية لهذه الحالة المرضية؛ فإما القضاء على المرض وإما إعدام المريض.**

**لكن هناك من له مصلحة في استمرار هذه الحالة المرضية سواءٌ أكان ممن هم في الخارج أو ممن يمثلونه في الداخل.**

**لقد دخل المريض إلى صيدلية الحضارة الغربية طالباً الشفاء، ولكن من أي مرض؟ وبأي دواء؟ وبَدَهِيٌّ أننا لا نعرف شيئاً عن مدة علاج كهذا، ولكن الحالة التي تطَّرد هكذا تحت أنظارنا منذ قرن، لها دلالة اجتماعية يجب أن تكون موضع تأمل وتحليل.**

**-إن نهضة المسلمين تحتاج منا أن نعمل على إزالة معوقات النهضة من جهة، وصياغة مشروع نهضة من جهة أخرى.**

**أولا: معوقات النهضة:**

**هناك معوقات ذاتية ومعوقات موضوعية؛ فأما الذاتية فهي نابعة من ذاتنا الحضارية بفعل ما أصاب المسلمين من أمراض تصيب المجتمعات والحضارات، وهي سنة الله في خلقه لا يمكن أن تحابينا لأننا مسلمون، بل يصاب بها كل من لم يتحقق بشروط التحصين منها. وهي معوقات اجتماعية ونفسية وفكرية. وأما المعوقات الموضوعية فهي العوامل الخارجية لتخلفنا وتأخرنا، وهي أساساً الهيمنة الحضارية الغربية وما جلبت علينا من مختلف التحديات بداية بالاستعمار ونهاية بالعولمة والغزو الفكري والحضاري.**

## ثانيا: صياغة مشروع للنهضة الحضارية.

### معوقات النهضة:

المعوقات الذاتية (اجتماعية ونفسية وفكرية)

**أولاً: المعوقات الاجتماعية:**

**((١)) الحَرفِيَّةُ في الثقافة: الجهل المركب الذي يتميز به المثقف العربي يشكل مرضاً مزمناً ومعدياً ومتوارثاً بين الأجيال لأن الجاهل الذي يقدم نفسه على أنه حامل للشهادة الأكاديمية، أو حامل لكتاب الله لا يدرك أنه جاهل ويعتقد بأن الشهادة التي حصل عليها هي المقياس الوحيد لمكانته العلمية، ولوقوعه في أسر الغرور وجنون العظمة لا يعترف بأخطائه ولا يصححها.**

**((٢)) تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية: تمزق البناء الاجتماعي للأمة، وسيادة النزعة الفردية في المجتمع مما يؤدي إلى انعكاس معيار القيم، وتعارض مصالح الأفراد والجماعات فيما بينها، فيحدث الاصطدام الداخلي الذي يقضي على العمل التكاملي الجاد ويؤدي إلى إهدار الكثير من الطاقات الاجتماعية وصرفها فيما لا جدوى منه.**

**((٣)) عدم تماسك عالم الأفكار: أمَّا الأفكار السائدة في العالم الإسلامي اليوم فما هي إلا مزيج من الأفكار التي تعيق التطور والنمو وتتمثل في الأفكار الميتة والأفكار القاتلة، ورغم اختلاف مصدريهما إلا أن كلاهما يؤدي إلى الهدم لا البناء.**

**((٤)) طغيان عالم الأشياء: إن طبيعة العلاقة بين الإنسان المسلم اليوم وعالم الأشياء يحددها المعيار الصبياني في التعلق بالأشياء؛ إذ لم يعد الإنسان يستمد مكانته الاجتماعية من كونه إنساناً ولا من زاده المعرفي وإنما من كمية الأشياء التي يمتلكها ويتصرف فيها.**

**((٥)) طغيان عالم الأشخاص: كما أن الجماهير في مجتمعنا لم تعد تؤمن بمشاريع فكرية معينة، بل كل ما يشد انتباهها هو ذلك الشخص الكارزمي الذي يعتقدون أنه يمتلك جميع الحلول لمشكلاتهم الخاصة، إلى درجة أن يتحول شخص الزعيم إلى وثن يعبد إمَّا خوفاً وإمَّا انبهاراً وإمَّا طمعاً.**

**((٦)) سيادة النزعة السياسية: انحراف الممارسة السياسية في الوطن العربي، بحيث انفصلت السياسة عن القواعد والأسس العلمية التي تقوم عليها وتحولت إلى خداع ومكر وتضليل يمارسه بعض الدجالين لمغالطة أصحاب النوايا الطيبة والسذج من الجماهير، واستخدام جماجم الضعفاء كجسر للوصول إلى السلطة أو البقاء فيها.**

**ثانياً: معوقات نفسية:**

**((١)) غياب الفعالية: يتميز تفكير الإنسان المسلم اليوم في معظمه بأنه تفكير نظري غير مرتبط بأهداف عملية، وأغلب من يسمون أنفسهم بدعاة التغيير يكثرون الكلام من دون أن يكون لذلك أي انعكاس ايجابي على الواقع.**

((٢)) الميل إلى التكديس: لجوء المجتمع الإسلامي إلى التكديس بدل البناء، فطغيان الشيئية أعمى بصيرته وجعله يغفل عن البناء المرحلي التكاملي ويبدله بتكديس منتجات الحضارة إلى جنب بعضها البعض معتقداً أن هذه المنتجات هي التي تصنع الحضارة في حين أن العكس هو الصحيح بحيث إن الحضارة هي التي تَلِدُ منتجاتِها.
ويشتمل التكديس على الأشياء والأفكار والأشخاص.
((٢)) القابلية الاستعمار: إن الاستعمار ما كان ليُعَمَّرَ طويلاً في العالم الإسلامي لو لم يجد الأرضية مهيأة لبقائه من خلال ذلك الاستسلام التام بل والوقوف إلى جانبه من طرف البعض وتبني أطروحاته والدفاع عنها من طرف البعض الآخر، ومنه فالقابلية للاستعمار إنما تعني تلك الحالة النفسية السلبية المتمثلة في الرضا بالعدو والاستسلام للهوان والعجز عن مواجهة تحديات الواقع ومشكلاته.

## ثالثاً: معوقات فكرية:

((١)) النزعة الذرية (التجزيئية): إن أسباب كبوة المشاريع النهضوية ترجع إلى تلك الانطلاقة غير الموفقة التي لا تقوم على الرؤية التكاملية العميقة، والتي لا تدرك أهمية مختلف جوانب الحياة المادية منها والمعنوية، وتأثيراتها المتبادلة فيما بينها، وإنما تقوم على رؤية سطحية تجزئ المشكلات، وتطرحها منفصلة عن بعضها. بل قد تنشغل بجزئية صغيرة وتراهن عليها لوحدها لتحقيق أهداف النهضة، ولعل هذه النظرة التي تفصل المشكلات عن بعضها وتجزئها هي سبب ذلك الفشل المتكرر لمحاولاتنا النهضوية.
((٢)) غياب النقد الذاتي: إن المسلم اليوم بمختلف توجهاته يعاني من عقدة رفض النقد، الأمر الذي يجعله يتمادى في أخطائه من دون أن ينتبه إليها، وقد يكون سبب هذا الرفض هو التهرب من تحمل مسؤوليات نتائج الانحرافات التي تحدث بين الحين والآخر في مسيرته النهضوية، بحيث إنه يتم اللجوء إلى اتهام الآخر أحياناً واتهام التراث في أحايين أخرى لتبرير العجز أو الخطأ في مقابل الحذر المفرط من توجيه جهاز النقد والفحص للذات.
((٣)) غياب الوعي المنهجي: العشوائية في العمل، فبالرغم من وجود النية الخالصة للقيام بالتغيير، إلاّ أنها ليست الشرط الوحيد؛ بل نحتاج إلى المعرفة الواسعة بسنن التغيير الاجتماعي، وهو العنصر المفتقد في الكثير من محاولاتنا النهضوية، بحيث نجهل حتى خصوصيات المرحلة التاريخية التي تمر بها أمتنا. لذا تجد البعض منَّا يلجأ إلى الماضي البعيد لاستعارة حلول جاهزة أوجدها أصحابها لمواجهة تحدياتهم الخاصة المختلفة زمانيا عنا، وتجد البعض الآخر يلجأ إلى الضفة المجاورة لاستيراد حلول جاهزة أيضاً أوجدها أصحابها لمواجهة تحديات خاصة بمرحلتهم التاريخية المختلفة عنا.
((٤)) الاغتراب الزماني والمكاني: اتفاق كل من دعاة الإصلاح ودعاة التحديث على تجاهل واقع أمتهم كنقطة انطلاق أساسي لبناء مشروعيهما النهضويين، فعاد دعاة الإصلاح بأفكارهم إلى الماضي للتشبث به والدفاع عنه من دون تمحيص ولا نقد، وتمثل دعاة التحديث مذاهب فكرية غربية لها واقعها

**الخاص الذي نشأت فيه. وبالتالي فهذا الاغتراب الزماني والمكاني هو الذي أدى إلى التلفيق والفوضى أحيانا وإلى اصطدام الجهود أحايين أخرى مما عرقل السير في طريق النهوض.**

**المعوقات الموضوعية (الحضارة الغربية)**

**وفي مقابل هذه الأمراض الداخلية التي ظلت تنخر جسد الأمة فكرياً ونفسياً واجتماعياً، نجد حاجزاً خارجياً يتمثل في الاستعمار (الحضارة الغربية) الذي يرفض أن يتحول العبد إلى سيد يتخذ قراراته بكل حرية ومسؤولية.**

**كما يرفض تعدد أقطاب الحضارة الإنسانية ومراكزها، كل هذا يدفعه لإجهاض أي مشروع نهضوي أو تحرري يحاول تحقيقه المستضعفون.**

**وهناك مجموعة من الأدوات والآليات التي يوظفها الغرب كقيود وحواجز تمنعنا من تحقيق أهدافنا الإنسانية والحضارية ونذكر منها:**

**((١)) العمل على اختراق مختلف المبادرات التي يهدف أصحابها لتغيير أوضاعهم وأحوالهم، من خلال إدخال مجموعة من المتغيرات تساهم في الانحراف بها عن هدفها الرئيس للمحافظة على المصالح الاستعمارية وإجهاض المبادرات الأصيلة من خلال إبعادها عن مسارها الصحيح.**

**((٢)) تسخير إمكانيات مادية كبيرة وإمكانيات بشرية عالية المستوى للاستعلام عن حركة الأفكار للتخلص منها إما بتشويشها والانحراف بها إذا كانت فعالة وإما بتضخيمها وتوسيع نشرها والترويج لها إذا كانت متوافقة مع مصالحه.**

**((٣)) توظيف الاستشراق في عملية الصراع الفكري لارتباطه بمؤسسات الاستعلامات التابعة للاستعمار، وإذا كان دور الفريق الذي حاول تقزيم أو إلغاء دور الحضارة الإسلامية المساهِمة في المنجزات الإنسانية واضح للغاية فإن دور الفريق الثاني الذي نصفه بالموضوعي هو الآخر مؤسسة لإنتاج مخدرات تمجيد الماضي الزاهر للأمة للانبهار به عوض مواجهة تحديات الواقع المختلف.**

**((٤)) اهتمام الغرب بالبعثات الطلابية للانحراف بها عن طريق طلب العلم لتعود بالشهادة الأكاديمية ولكن من دون زاد علمي ومعرفي، فتوظف كأداة لتكريس الرداءة والتشجيع عليها في أوساط النخبة المثقفة، وفي حالة ما إذا أثبت بعضهم امتيازه فسيحيطه بالتسهيلات والإغراءات من كل جانب للبقاء هناك. بل تغلق كل الأبواب في وجهه إذا ما عاد إلى بلاده، لأن أعداء النجاح يرفضون وجود الممتازين بينهم.**

**((٥)) تحطيم قدرات الإنسان المسلم من خلال الانحراف بسلوكاته إلى ميدان الوقاحة والرذيلة وذلك من خلال محاربة القيم الأخلاقية بمختلف الطرق وتشجيع دعاة الانحلال بأسماء مختلفة، ويهدف بذلك إلى تفكيك الروابط الأخلاقية لتمزيق شبكة العلاقات من جهة وإلى تغيير البنية الثقافية السائدة من جهة أخرى بالإضافة إلى المحافظة على حالة التخلف.**

**((٦)) تشجيع التعصب للأنا سواء كأفراد أو كجماعة، لينقسم المجتمع إلى فريقين متناحرين فريق يتخذ من الغرب ملهما له فيستسلم له خاضعا مستكينا ويرفع ألوية الدفاع عنه، وفريق ثان يجعل من الغرب**

شيطانا بليدا فيظل يواجهه بانفعال متزايد، والواقع أن الفريقين من صنع مخابر الصراع لأن ما يؤول إليه نشاطهما في النهاية هو النتيجة نفسها، وهي إبعاد المسلم عن واجباته اليومية وتحدياته الواقعية وتخديره إما بانبهاره بالغرب وإما بالحماس والانفعالات التي لا معنى لها في صناعة الحضارة.

((٧)) تأثير الغرب مرتبط بجانبين، جانب سلبي وجانب إيجابي، فأما الأول فيتمثل في خططه ومؤامراته لتحطيم الأفكار الفعالة والعملية وتفكيكها، وأما الثاني فيتمثل في خلق أفكار مناسبة له ولمصالحه، ويسعى لنشرها لتصبح جزءا من يوميات أبناء الشعوب الإسلامية، بل إن حماسة الشعوب وانفعاليتها تجعلها تنظر إلى هذه الأفكار بأنها من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها.

ما هو سبيل النهوض بالمسلمين؟

لا بد من الخروج من النزعة الانفعالية التي تتجاهل الحاضر تجاهلاً تاماً بسبب الانبهار بمنجزات الغير سواء من القدماء أو الغربيين.

ولا بد من بناء مشروع للنهضة قائما على التحليل العلمي والعقلاني لظاهرة التخلف الحضاري الذي تعيشه الأمة، بحيث نقوم بداية بتحديد المرحلة التاريخية التي نعيشها، وانطلاقاً من خصوصيات هذه المرحلة، نحدد الخصائص النفسية والفكرية والاجتماعية لإنسانها؛ والتي تتمثل في أهم المعوقات الذاتية التي وقفت في وجه المحاولات النهضوية ومنعتها من تحقيق أهدافها الحضارية.

نقوم بتفكيك معوقات النهضة وبناء مشروع جديد بناء على تحليل لمظاهر وأسباب التخلف وصياغة رؤية كلية تستوعب مختلف أبعاد النهضة، ونصمم منهجاً قابلاً للتطبيق نظرياً وعملياً يحقق أهدافنا من النهضة.

((١)) الإنسان محور عملية النهضة: إن المشروع الإصلاحي يبدأ بتغيير الإنسان، ثم بتعليمه الانخراط في الجماعة ثم بالتنظيم فالنقد البناء. وتبدأ عملية التطور من الإنسان لأنه المخلوق الوحيد القادر على قيادة حركة البناء، وتحقيق قفزات نوعية، تمهيداً لظهور الحضارة.

فالمجتمعات في حاجة عندما تريد بناء أو إعادة بناء نفسها إلى الإنسان الجديد الذي يوظف كل طاقاته وإمكاناته مهما كانت بسيطة. ولكي تعود (المجتمعات) من جديد إلى ساحة الفعل الحضاري لابد من أن تعيد صياغة هذا الإنسان وتوجيهه عبر:

- توجيه الثقافة. – توجيه العمل. – توجيه رأس المال.

وهي الأمور التي يمكن من خلالها للإنسان أن يؤثر في واقعه؛ أي: إنه يؤثر بفكره وعمله وماله.

فللوصول إلى الحضارة المرجوة خطوات وأولويات يجب تحقيقها حتى تكون الحضارة مبنية على قواعد راسخة متينة ومعظم هذه التغييرات يجب أن تحدث أولاً في الفرد نفسه قبل أن نرى أثرها في الواقع الاجتماعي.

ولتحقيق التغيير لا بد من تغييرين، تغيير ما بالقوم (الوضع الاجتماعي)، وتغيير ما بالأنفس. وما يؤكد على هذا القول هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

فتغيير الإنسان وإعادة صياغة وتخليصه من تخلفه شرط لازم ليتحقق التغيير الحضاري الشامل للأمة.
ولنا في رسول الله  أسوة حسنة، حيث إنه غير من أنفس الأفراد أولاً، وشكل شخصياتهم الإسلامية، ثم بنى بهم الدولة والأمة والحضارة.

((٢)) من التكديس إلى البناء: إن العالم الإسلامي بدأ يتجه إلى جمع الأكوام من المنتجات الحضارية أكثر من اتجاهه إلى بناء حضارة وهو ما يسمى بالتكديس.

فينتهي بنا الأمر إلى ما أسماه مالك بن نبي بالحضارة الشيئية؛ أي: إن التكديس لا يعني البناء لأن البناء وحده هو الذي يأتي بالحضارة التي تكون منتجاتها وليست المنتجات هي التي تكون الحضارة.

وقد يتساءل شخص ما الذي نأخذه من الحضارة الغربية؟ وللإجابة على ذلك يقول مالك: إن علينا أن نأخذ من الحضارة الغربية الأدوات التي تلزم في بناء حضارتنا... حتى يأتي يوم نستطيع فيه الاستغناء عنها بمنتجاتنا.

((٣)) دور الأفكار في البناء الحضاري:

هناك أهمية كبيرة للأفكار وتأثيرها على الفرد والمجتمع وبناء الحضارت؛ فالفكر ركيزة هامة في حياة الشعوب، ودليل على حيويتها وتقدمها، أو على العكس دليل على جمودها وتخلفها لأن نتاج العقل البشري الذي خلقه الله لهذه الغاية فالنجاح الفكري وسيلة للقضاء على الأفكار الميتة لأن تصفينة الأفكار الميتة وتنقية الأفكار المميتة يعدان الأساس الأول لأية نهضة حقة.

وكذلك فإن انحراف الأفكار عن مجرها بالنسبة للأفكار الجوهرية تبين لنا مقدرا عدم فعالية المجتمع مما يؤدي إلى الزيغ من جيل إلى جيل عن طريق الامتصاص وتعتبر الأفكار في هذه الحالة هي الجراثيم التي تكون كالعدوى الاجتماعية لنقل الأمراض؛ فينعكس المرض على المجتمع، وأحياناً قد يحدث انعكاس الفكرة المردودة فيعود ذلك بالخير بسبب اكتشاف بطلانها.

((٤)) ثقافة النهضة وثقافة التخلف:

ما دامت الثقافة هي ذلك المحيط الذي يشكّل فيه الفرد طباعه وشخصيته وسلوكه فإنَّ أنماط الشخصية والسلوك الإنساني هي تجسيد واقعي لما يلقاه الفرد في بيئته الاجتماعية.

ولنقرِّب الصورة أكثر ونحوِّر المثال الذي دلَّل به ابن نبي على وظيفة الثقافة عندما شبَّهَها بوظيفة الدم الذي يغذي جسم الإنسان نتصور من الناحية البيولوجية أنَّ هذا الدم يحمل في تركيبته جراثيم قاتلة، ونتصور أنَّ مناعة هذا الإنسان تتناقص بتقدمه في العمر فإنَّ هذه الجراثيم تزداد خطورتها على حياته، فهي إن لم تقتله جعلته عرضة للمرض والوهن.

كذلك الثقافة في مراحل تخلف المجتمعات تتولَّد في نطاقها السلبيات وتتراكم مع الزمن لتحمل في طياتها أفكاراً قاتلة أو ميتة يمتصها جسم المجتمع، فتقضي على فعاليته وعلى تحضّره وتقوده عند نهاية دورة حضارته إلى التخلف والانحطاط.

– فعندما يبدأ المجتمع مسيرته الحضارية تكون كل قواه حية ومتحركة، تلك التي تنعكس أيضاً في نفسية الإنسان المتحضِّر من خلال ما يلقاه في بيئته من مسوِّغات دافعة وأفكار حية وطاقات محرِّكة

**وضمانات تتيح له أن ينمِّيَ قدراته الذاتية، فتشكَّل فيه قيمة الفعالية التي تمكِّنه من أن يستغلَّ ما بين يديه من وقت وتراب.**

**– وعندما تدخل المجتمعات إلى مراحل تخلفها تخمد حركتها الدافعة، وتفقد مسوغاتها ويصبح الفرد كَلاًّ فاقداً لفعاليته لأن ثقافته التي ورثها من عصور الانحطاط عبر وراثته الاجتماعية، لم تستطع أن تمنحه الفعالية التي يؤثِّر بها في محيطه، فأحكامه وسلوكاته هي الترجمة الواقعية لما انطبع في نفسيته من قيم وعادات سالبة امتصها من محيطه الثقافي.**

**وعلى هذا الأساس تبرز العناية بالمسألة الثقافية، فهي المدخل الضروري لعملية البناء الحضاري.**

**ولكي يحقق المجتمع تألُّقَهُ في التاريخ، ويقضي على ضروب التخلف واللاَّفعاليَّة ينبغي أن نغيِّر عالمه الثقافي، وأن نضع الإنسان أمام ضرورات جديدة تفضي إلى تغيير معادلته الشخصية التي زيَّفتها عهود الكساد، وهذا هو رهان الثقافة الأساس؛ أي: أن نعيد الإنسان الخارج من دورة حضارية بعد أزمة تاريخية إلى الحضارة، وأن ندخل الإنسان السابق على الحضارة إلى دورة حضارية جديدة.**

**وهو التحدي الذي يقف أمام المجتمع الإسلامي فيستدعيه إلى ضرورة التفكير في الإنسان الذي ينبغي إعادة صياغته ثقافياً حتى يتواءم مع ضرورات التحضر لأنه من أجل أن نغيِّر الإنسان ينبغي أن نغير وسطه الثقافي بإنشاء وسط جديد يمنحه المسوِّغات الدافعة والفعالية القصوى حتى ينطلق في عملية البناء الحضاري.**